لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي

المتوفى عام ٢٠٤ هـ

ديوان

الإمام الشافعي

مكتبة الحسام المصورة
غفر الله له ولوالديه

دار المنار

مكتبة الحسام المصورة
غفر الله لي ولوالديه

حسام الدين:

ديوان

الإمام الشافعي

لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي

المتوفى عام ٢٠٤ هـ

دار المنار

دار المنار للنشر والتوزيع
٩ شارع الباب الأخضر ــ ميدان الحسين
ص.ب ٦١ هليوبولس ــ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الإمام الشافعى علم من أعلام العربية الكبار وأستاذ من أساتذتها العظام الذين لهم القدح المعلى فى جميع علومها وفنونها من بلاغة وفصاحة وعروض ونحو وصرف وقافية وأدب وعلم وبيان.. فهو ابن بجدتها وفارس حلبتها وحائز قصب السبق والتفوق فيها.. فضلا عن أن له القدح المعلى أيضا والقدم الراسخة فى علوم القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وعلماء الجرح والتعديل.. ويكفينا دليلا على حسن فطنته وكمال عقله وتمام فقه وعظم مكانته العلمية التى بلغ فيها شأوا لا يُمْول له قوله فى اجابته على الرشيد حين سأله، كيف علمك بالقرآن؟! يا ابن ادريس فقال له عن أى علومه تسألنى ، عن حفظه قد حفظته ووعيته بين جنبى وعرفت وقفه وابتداءه وناسخه ومنسوخه وليليه ونهاريه.. وما خوطب به العام يراد به الخاص وما خوطب به الخاص يراد به العام .

ولا غرو فالشافعى عربى المولد والنشأة واللغة والنفس واللسان وقد رزقه الله ذاكرة واعية وحافظة مستوعبة وقلبا تقيا ونفسا مستقيمة وأنه كان يحفظ جميع ما يملى عليه حتى ولو سمعه من وراء حوار أو خلف ستار أو حجاب.. فقد حدث هو نفسه قال: « كنت وأنا فى الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبى الآية فأحفظها أنا » وأنه مكث فى قبيلة هذيل فى البادية قريبا من مكة المكرمة سبع عشرة سنة يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم فلما رجع الى مكة جعل ينشد الأشعار ويذكر والأخبار وأيام العرب.. وأنه حين أراد التوجه الى مالك بن أنس بالمدينة عمد الى قراءة الموطأ فحفظه فى تسع ليال .. وكان رحمه الله يقضى وقته فى القراءة والكتابة والإطلاع على شتى العلوم والفنون حتى أنه جمع أطرافها وأحاط بأكنافها واستطاع أن ينبغ فيها وأن يترك لنا ذخائره الفذة وتآليفه التى تدل على عقليته المبتكرة وعبقريته التى لا يداينه فيها لاحق ولم يدركها سابق وبخاصة فى مجال أصول الفقه الذى يعد بحق عيال عليه كل من أتى بعده حتى الآن فى مضمار هذا العلم الذى ينسب اليه وحده ..

وقد روى أنه كان يحفظ عشرة آلاف بيت من الشعر فى جميع الأغراض لقبيلة هذيل وحدها بإعرابها ومعانيها وكان من أعرف الناس بالتواريخ وكان ملاك أمره الإخلاص .

مكتبة الحسامر المصورة
غفر الله له ولوالديه

فقد حدث ابن سليمان قال : كان الشافعى رحمه الله تعالى يجلس فى حلقته إذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه عن تفسيره ومعانيه فإذا إرتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر فإذا إرتفع الضحى تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر فلا يزالوا إلى قرب إنتصاف النهار ثم ينصرف رضى الله عنه . .

والشافعى تتلمذ على شيوخ اللغة وأئمة الإسلام المشهورين من أمثال أبى حنيفة ومالك وتابعى التابعين الذين أدركهم بمكة والمدينة وعلماء البصرة والكوفة من اللغويين والنحاة وأمثال عبدالملك بن هشام النحوى والقاسم بن سلام والربيع بن سليمان وأحمد بن أبى سريع . . وكان لمكانته العلمية واللغوية يدعى بالمطلبى نسبة الى جد النبى ﷺ عبد المطلب وقد أنجاه ذكاؤه وحسن تصرفه وتدبيره وحيلته وكياسته من القتل حين وشى به عند والى اليمن من قبل الرشيد وكان غشوما ظلوما . . قال الشافعى : وكان باليمن تسعة من العلويين قد تحركوا فكتب الوالى وإنى أخاف أن يخرجوا وأن ههنا رجلا من ولد شافع المطلبى لا أمر لى معه ولا نهى فكتب الرشيد اليه أن احمل هؤلاء وأحمل معهم الشافعى فقرنت معهم قال فلما قدمنا على الرشيد ادخلنا عليه وعنده محمد بن الحسن قال : فدعا هارون الرشيد بالنطع والسيف وضرب رقاب العلوية ثم التفت محمد ابن الحسن فقال يا أمير هذا المطلبى لا يغلبنك بفصاحته فإنه رجل لسن فقلت لهلا يا أمير المؤمنين فإنك الداعى وأنا المدعو وأنت القادر على ما تريد منى ولست القادر على ما أريد منك . .

يا أمير المؤمنين ما تقول فى رجلين أحدهما يرانى أخاه والآخر يرانى عبده أيهما أحب الىّ قال الذى يراك أخا قال قلت فذاك أنت يا أمير المؤمنين قال : فقال لى كيف ذاك ؟ فقلت يا أمير المؤمنين أنكم ولد العباس ترونا إخوتكم وهم يروننا عبيدهم قال فسرى ما كان به فإستوى جالسا وبعد مناقشة علمية بينه وبين الشافعى استبان له مقدارتبحر الشافعى فى فروع العلم المختلفة طلب منه أن يعظه . يقول الشافعى : فذكرت عظه لطاووس اليمانى فوعظته بها فبكى وأمر لى بخمسين ألفا وحملت على فرس وركبت بين يديه وخرجت فما أن وصلت الباب حتى فرقتها على حجابه وبوابيه قال : فلحقنى هرثمة صاحب هارون الرشيد

فقال : اقبل هذه منى قال فقلت له انى لا آخذ العطية ممن هو دونى وإنما آخذها ممن هو فوقى . . قال وخرجت كما أنا حتى جئت منزلى فوجهت الى كاتب محمد بن الحسن بمائة دينار وقلت أجمع الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن وانسخها لى ووجه بها إلىّ فكتب ووجهها إلىّ .

أما عن شعره رضى الله عنه فهو وإن كان قليلا فى بابه ـ فإنما يغلب عليه طابع الحكمة والعلم والتجارب والنصيحة وبيان الرأى والإقناع وإشتمل على كثير من الأغراض والميادين التى يعايشها الانسان ويحياها فى أطواره وأحواله المختلفة . . ولا نستبعد أن نوافق بعض القائلين أن الشافعى كان يتمثل بأبيات من محفوظه الشعرى فى المواضيع التى ينشد فيها شعرا ـ وإن كان هذا يحتاج الى تحقيق وتثبت حتى يتبين الأصيل من المنحول . . ولعل ولعه الشديد بالاشتغال بالعلم ونبوغه فى أصول الدين ومسائل الفقه لم يترك له وقتا أو مكانا لشبوب العاطفة وانفعاله لإقراض الشعر، ولعمرى إذا كان يحفظ عشرة آلاف بيت لقبيلة هذيل وحدها ـ كما قدمنا ـ فماذا كان يحفظ عن القبائل الأخرى ـ ونتساءل ألا يمكن أن يكون شاعرا بجانب كونه فقيها وهو من هو فى سعة اطلاعه وقراءته الموسوعية فى علوم العربية وحفظ أشعارها ومتونها الفقهيه والبلاغية وهو القائل :

أخى لن تنال العلم إلا بستة سأنبيك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغه وصحبة أستاذ وطول زمان

وقد كان رحمه الله يضرب به المثل فى التواضع والسخاء والكرم والفقه والورع والعبادة حتى قال : وهو مريض « وددت لو أن الخلق يعلمون علمى هذا ولم ينسب إلى منه شيء أبدا » .

وقال الحسن بن عبد العزيز (شيخ البخارى) أن الشافعى قال « ما نظرت أحدا فأحببت أن يخطىء وما فى قلبى من علم إلا وددت أنه عند كل أحد ولا ينسب الى » .

وكان رحمه الله يختم القرآن فى شهر رمضان أكثر من مرة فى الصلاة فى شهر رمضان وقال عن نفسه « ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة طرحتها لأن الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة » رحمه الله رحمة واسعة ورضى عنه فى أعلى عليين واللهم اجعلنا فى زمرته واجعل أعمالنا صالحة ولوجهك خالصة ولا تجعل لأحد فيها شيئا وأرزقنا حسن العلم والعمل اللهم آمين والحمد لله كثيرا الذى تتم بنعمته الصالحات .

بـاب حُسن الخلـق

شعر هذا الباب يتحدث عن الأخلاق الحسنة وهى تعكس السماحة وجو الكرامة وهى تحوى حكما نافعة وجواهر غالية تفتح البصر والبصيرة وتدفع بالإنسان إلى التصرف السليم فى مواقف كثيرة .

كتمـان الأسـرار

إذا المـرء أفشـى سـره بلسـانه ... ولام عـليـه غـيـره فـهـو أحـمـق
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذى يستودع السر أضيق

حمل النفس على ما يزينها

صن النفس واحملها على ما يزينها ... تعش سالما والقول فيك جميل
لا ترين الناس إلا تجـمـلا ... نبابك دهر أو جفاك خليل (١)
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد ... عسى نكبات الدهر عنك تزول
ولا خـيـر فى ود امـرىء مـتلون ... إذا الريح مالت، مال حيث تميل
ومـا أكـثـر الإخـوان حين تعـدهم ... ولـكـنـهـم فى النائبات قليـل

تعريف الفقيه والرئيس والغنى

إن الفـقـيـه هو الفـقـيـه بفـعله ... ليس الفـقـيـه بنطقه ومقاله (٢)
وكـذا الرئيس هو الرئيس بخلقه ... ليس الرئيس بقـومـه ورجـاله
وكـذا الغنى هو الغنى بحـاله ... لـيـس الـغـنـى بـمـلـكـه وبمـالـه

القنـاعـة

رأيت القناعـة رأس الغنى ... فصرت بأذيالها متمسك (٣)
فـلا ذا يرانى على بابه ... ولا ذا يرانى به منهـمك (٤)
فـصـرت غنيـا بلا درهم ... أمـر على الناس شـبـه الملك

---

(١) فى البيت روح طيبة وفيه دعوة إلى حسن الخلق كما يبدو فى الأبيات جو الهدوء والطمأنينة النفسية وهو عكس ما تمثل به الإمام الإمام فى لحظات الضيق وشكوى الزمن والناس

(٢) بيان لحقيقة الناس وميزان دقيق لقياس أحوالهم .

(٣) الصواب (متمسكا) .

(٤) الصواب (منهمكا) ولكنها ضرورات القافية .

مكارم الأخلاق

لما عفوت ولم أحقد على أحد ... أرحت نفسى من هم العداوات (١)
إن أحيى عدوى عند رؤيته ... لأدفع الشر عنى بالتحيات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه ... كما أن قد حشى قلبى محبات (٢)
الناس داء ودواء الناس قربهم ... وفى اعتزالهم قطع المودات

تأتى العزة بالقناعة

أمت مطامعى فأرحت نفسى ... فإن النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتا ... ففى إحيائه عرض مصون
إذا طمع يحل بقلب عبد ... علته مهانة وعلاه هون

الإعراض عن الجاهل

أعرض عن الجاهل السفيه ... فكل ما قال فهو فيه
ما ضر بحر الفرات يوما ... إن خاض بعض الكلاب فيه

كتب إلى البويطى وهو فى السجن : حسن خلقك مع الغرباء ووطن نفسك لهم فإنى كثيرا ما سمعت الشافعى يقول (٣) :

أهين لهم نفسى وأكرمهم بهم (٤) ... ولا تكرم النفس التي لا تهينها

توقير الرجل

ومن هاب الرجال تهيبوه ... ومن حقر الرجال فلن يهابا
ومن قضت الرجال له حقوقا ... ومن يعص الرجال فما أصابا (٥)

السماحة وحسن الخلق

إذا سبنى نذل تزايدت رفعة ... وما العيب إلا أن أكون مسابه
ولو لم تكن نفسى على عزيزة ... لمكنتها من كل نذل تحاربه
ولو أننى أسعى لنفعى وجدتنى ... كثير التوانى للذى أنا طالبه
ولكننى أسعى لأنفع صاحبى ... وعار على الشبعان إن جاع صاحبه

● ● ●

(١) فى الآيات روح التسامح التى عشناها فى غيرها من أبيات هذا الباب .
(٢) « كما أنه قد حشى قلبى محبات » فى هذا الشطر ركاكة واضحة ولو قال « كأنه قد . » لكان أفضل وكلمة حشى ليست ملائمة فى إيقاعها وإن كانت توحى بالضيق والتحمل .
(٣) حيلة الأولياء ص ١٤٨ - ٩ .
(٤) رواية آداب الشافعى للرازى لكى يكرمونها . . ولن تكرم .آدب الشافعى للرازى ص١٢٧ .
(٥) فى الشطر الأول من هذا البيت حذف غير بلاغى إذ خاف الشاعر جواب من « ومن قضت الرجال له حقوقا . . » ما الجواب ؟ أو ما النتيجة ؟ الله أعلم . . ماذا عليه أن يفعل .

يخاطبنى السفيه بكل قبح ... فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة فأزيد حلما ... كعود زاده الإحراق طيبا

الفضل (١)

أرى الغر فى الدنيا إذا كان فاضلا ... يرقى على روس الرجال ويخطب
وإن كان مثلى لا فضيلة عنده ... يقاس بطفل فى الشوارع يلعب

الزهد ومصير الظالمين

بلوت (٢) بنى الدنيا فلم أر فيهم ... سوى من غدا والبخل ملء إهابة (٣)
فجردت من غمد القناعة صارما ... قطعت رجائى منهم بذبابة (٤)
فلا ذا يرانى واقفا فى طريقه ... ولا ذا يرانى قاعدا عند بابه
غنى بلا مال عن الناس كلهم ... وليس الغنى إلا عن الشىء لا به (٥)
إذا ما ظالم استحسن الظلم مذهبا ... ولج عتوا (٦) فى قبيح اكتسابه (٧)
فكله إلى صرف الليالى فإنها ... ستدعى له مالم يكن فى حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمردا ... يرى النجم تيها (٨) تحت ظل ركابه
فعما قليل وهو فى غفلاته ... أناخت (٩) صروف الحادثات ببابه
فأصبح لا مال ولا حياة يرتجى ... ولا حسنات تلتقى فى كتابه
وجوزى بالأمرى الذى كان فاعلا ... وصب عليه الله سوط عذابه

---

(١) وردت فى الديوان تحت عنوان «غرور المظهر» وهو لا يوحى بالمضمون .

(٢) بلوت : اختبرت وجربت .

(٣) الإهاب : على وزن كتاب الجلدك ك١ وما لم يدبغ .

(٤) الصارم : السيف القاطع، ذباب السيف : حده وأطرافه .

(٥) به : الهاء فى به راجعة الى الشىء . أى الغنى عن الشىء وليس الشىء .

(٦) العتو : الاستكبار والتجبر وقيل العاتى هو المبالغ فى ركوب المعاصى، المتمرد الذى لا يقع منه الوعظ والتنبيه موقعا .

(٧) وردت فى المستطرف ج٢ ص ٤٥ .

(٨) تيها : عجبا وغرورا .

(٩) أناخت : نزلت .

السكوت سلامة

قالوا سكت وقد خوصمت قلت لهم ... إن الجواب لباب الشر مفتاح
والصمت عن جاهل أو أحمق شرف ... وفيه أيضا لصون العرض إصلاح
أما ترى الأسد تخشى وهى صامتة ؟ ... والكلب يخسى (١) لعمرى وهو نباح

الصمت خير من حشو الكلام

لا خير فى حشو الكلام ... إذا اهتديت إلى عيونه (٢)
والصمت أجمل بالفتى ... من منطق فى غير حينه
وعلى الفتى لطباعه ... سمة تلوح على جبينه

فضل السكوت

وجدت سكوتى متجرا فلزمته ... إذا لم أجد ربحا فلست بخاسر
وما الصمت إلا فى الرجال متاجر ... وتاجره يعلو على كل تاجر

ومما تمثل به الإمام :

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت
فإن كلمته فرجت عنه ... وإن خليته كمدا (٣) يموت

• • •

---

(١) يخسى : يرمى بالحصى .

(٢) البيتان الأول والثانى دعوة إلى اختيار وقت الكلام والاكتفاء بما يفيد .

(٣) كمدا : حزنا وفى مثل معناه قول القائل :

اصبر على مضض الحسود فإن صبرك قاتلة
فالنار تأكل نفسها ... إن لم تجد ما تأكله

باب الفخر والعزة بالنفس

الاعتـــزاز بـالنفـس (١)

مـــا حك جلدك مـــثل ظفـــرك ... فـــتـــول أنت جـــمـــيع أمـــرك
وإذا قـــصـــــدت لحـــاجـــة ... فـــاقـــصـــد لمعـــتـــرف بقـــدرك

علـــو الذكـــر

المرء يحظى ثم يعلو ذكـــره ... حـــتى يزين بالذى لم يفـــعل
وترى الشقى إذا تكامل عـيبـه ... يشقى وينحل (٢) كل ما لم يعمل

الإيثـــار والجـــود

أجـود بموجـود ولو بت طاويا (٣) ... على الجوع كشحا (٤) والحشا (٥) يتالم
وأظهـر أسبـاب الغنى بين رفقـتي ... لمخـــفـــاهم حـــالي وإنى لمعـــدم
وبـــيـــنـــى وبـــين الله ... حـقـيـقـ ا فـإن الله بالحـال أعلم

عـــزة النفـــس

لقلع ضـــرس وضـــرب حـــبس ... ونـــزع نـــفـــس ورد أمـــس
وقـــر (٦) برد وقـــود فـــرد (٧) ... ودبغ جلد بغـــيـــر شـــمس
وأكل ضب وصـــيـــد دب ... وصـــرف حب بأرض خـــرس (٨)
ونفخ (٩) نار وحـــمل عـــار ... وبـــيـــع دار بـــربـــع قـــلـــس (١٠)
أهون من وقـــفـــه الحـــر ... يرجـــو نوالا (١١) بـــاب نحس

---

(١) وردت فى الديوان تحت عنوان اعمل بنفسك .
(٢) ينحل : ينسب إليه .
(٣) طاويا : جائعا وفعله طيا فهو طاو وطيان .
(٤) كشحا : ما بين السرة ووسط الظهر ومنه يقال طوى كشحه على الأمر استمر عليه
(٥) الحشا : ما انضمت عليه الضلوع ومنه يقال أنا فى حشا فلان أى فى كنفه .
(٦) القر : شدة البرد ومنه ليلة قارة ويوم قار : أى شديد البرد . (انظر مختار الصحاح) .
(٧) قود : القصاص ، والفعل أقاد القاتل بالقتيل قتله به .
(٨) خرس : أى لا تنبت زرعا ولا كلأ ، ومنه سحابة خرساء : أى ليس فيها وعد ولا برق .
(٩) « ونفخ نار وحمل عار فيها مبالغة لا تناسب شخصية الإمام » .
(١٠) قلس : جمعه قلوس : هو حبل السفينة الضخم فى أصل الاستعمال . والألف الأولى عدد أما الثانية فمعناها الصاحب .
(١١) النوال : العطاء .

الهمـــة العـاليـة

امطرى لؤلؤ جـبـال سـرنديب ... وفـيـضى آبار تكرور تبـرا
أنا إن عـشت لست أعـدم قـوتا ... وإذا مت لست أعـدم قـبـرا
همـتى همـة الملوك ونفـسى ... نفس حـر ترى المذلة كـفـر (١)
وإذا مـا قنعت بالقـوت عـمرى ... فلمـاذا أزور زيدا وعـمـرا

قـــوة

حديث الحسين بن محمد الزعفرانى قال : سئل الشافعى عن مسألة فأجاب فيها ثم أنشأ يقول (٢) .

إذا المشكلات تصـدين (٣) لى ... كـشف حـقـائقـهـا للنظر
لسان كشقشقة (٤) الأرحبى (٥) ... وكـالحـسام اليـمـانى الذكـر
ولست بإمـعـة (٦) فى الرجـال ... أسـائل هذا وذا مـا الخـبـر؟
ولكننى مدره (٧) الأصغرين (٨) ... جـلاب خـيـر وفـراج شـر

الشـاعـر المنـطيـق (٩)

مـاذا يخـبـر ضـيف بيـتك أهله ... إن سـيل كـيف معـاده ومعـاجـه
أيقـول : جاوزت الفرات ولم أنل ... ريا لديه وقـد طغت أمـواجـه

---

(١) تصوير المذلة بالكفر لا مبرر له ولعلك تحس بالمبالغة فى الفخر وهذا ليس من طبيعة العلماء .

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموى ٨١ - ص ٣٠٩

(٣) تصدين : تعرضن .

(٤) الشقشقة : شىء كالريق يخرجه البعير من فيه إذا هاج وإذا قالوا للخطيب ذو شقشقة أى فإنما يشبه بالفحل .

(٥) الأرحبى : نسبة الى أرحب ، قبيلة من بنى رحب ، ومنها النجائب الأرحبيات .

(٦) الإمعة : الرجل الذى لا أرى له .

(٧) مدره : المدره : المقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال . وزعيم القوم والمتكلم منهم .

(٨) الأصغرات : القلب واللسان . كما فى الحديث « المرء بأصغريه قلبه ولسانه » .

(٩) أورد هذه الأبيات صاحب وفيات الأعيان بالمجلد الثالث ص٣٠٨ (سيل أى سئل) .

ورقيت فى درج العلا فتضايقت عما أريد شعابه (١) وفجاجه(٢)
ولتخبرن خصاصتى (٣) بتملقى والماء يخبر عن قذاه (٤) زجاجه
عندى يواقيت القريض ودره وعلى إكليل الكلام وتاجه
تربى على روض الربا(٥) أزهاره ويرف فى نادى الندى ديباجه
والشاعر المنطيق أسود سالخ والشعر منه لعابه ومجاجه
وعداوة الشعراء داء معضل ولقد يهون على الكريم علاجه (٦)

الجـــــود

إذا لم تجودوا والأمور بكم تمضى وقد ملكت أيديكم البسط والفيضا
فماذا يرجى منكم إن عزلتم وعضتكم الدنيا بأنيابها عضا
وتسترجع الأيام ما وهبتكم ومن عادة الأيام تسترجع القرضا

حقـــوق النـــاس

عن خشية بن سليمان بن حيدر قال: جاء رجل الى الشافعى فقال له ـ رحمه الله تعالى ـ صديقك فلان عليل، فقال الشافعى: والله لقد أحسنت إلىّ وأيقظتنى لمكرمة ودفعت عنى اعتذارا يشوبه الكذب ثم قال:

يا غلام، هات السبتية ثم قال: للمشى على الحفاء على علة الوجاء فى الرمضاء من ذى طوى أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب ثم أنشأ يقول.

---

(١) العب: جمع شعاب وهو الطريق فى الجبل.
(٢) فجاج: مفرده فج وهو الطريق والناحية.
(٣) خصاصتى: من خص خصاصة وخصاصا افتقر والخصاصة الفقر وخاصة الإنسان قرابته.
(٤) قذاه: القذى ما يقع فى الماء والعين من تبنة وسواها والقذى يأتى العيب.
(٥) الربا: جمع ربوة، وهو ما ارتفع من الأرض. اسود سالخ: الأسود الثعبان. والسلخ الثعبان الخارج من جلده.
(٦) بعيد أن يكون هذا هو تعبير الإمام عن نفسه، ففى الأبيات استجداء واضح وتهديد صريح بالهجاء والعداوة كما أن فيها من التكلف ما لا يليق ببلاغة الإمام رضى الله عنه.

أرى راحـة للحق عند قـضـائه ... ويثقل يوما إن تركت على عمد
وحسبك حظا أن ترى غير كاذب ... وقولك لم أعلم وذاك من الجهد
ومن يقض حق الجار بعد ابن عمه ... وصاحبه الأدنى على القرب والبعد
يعش سيدا يستعذب الناس ذكره ... وإن نابه حق أتوه على قصد

منتهى الجود

يا لهف نفسى [1] على مال أفرقه ... فتول أنت جميع أمرك
إن اعتذارى إلى من جاء يسألنى ... فاقصد لمعترف بقدرك

• • •

(١) يالهف : يا حسرة نفسى والفعل لهف والتلهف على الشيء التحسر والحزن عليه .

باب من أمراض النفس

فساد طبائع الناس

لم يبق فى الناس إلا المكر والملق ... شوك، إذا لمسوا، زهر إذا رمقوا
فإن دعتك ضرورات لعشرتهم ... فكن جحيما لعل الشوك يحترق

حصيد البدع

لم يبرح الناس حتى أحدثوا بدعا ... فى الدين بالرأى لم يبعث بها الرسل
حتى استخف بدين الله أكثرهم ... وفى الذى حملوا من حقه شغل

الأمراض من ثلاث

ثلاث هن مهلكة الأنام ... وداعية الصحيح إلى السقام
دوام مدامة (١) ودوام وطء ... وإدخال الطعام على الطعام

مداراة الحساد

وداريت كل الناس لكن حاسدى ... مداراته عزت منالها
وكيف يدارى المرء حاسد نعمة ... إذا كان لا يرضيه زوالها

مرارة تحميل الجميل (٢)

لا تحملن لمن يمن ... من الأنام عليك منه
واختر لنفسك حظها ... واصبر فإن الصبر جنه (٣)
منن الرجال على القلوب ... أشد من وقع الأسنه

المنة

رأيتك تكوينى بمبسم منة ... العيش تكفينى إلى يوم تكوينى (٤)
فدعنى من المن الوخيم فلقمة من ... العيش تكفينى إلى يوم تكفينى (٥)

---

(١) مدامة : خمر .
(٢) جواهر الآداب للهاشمى ط ـ ٤٦١ .
(٣) جنة : بضم الجيم أى وقاية .
(٤) تكوينى الأول من الكى، أما الثانية فهى من التكوين وهو الخلقة .
(٥) تكفينى : من الكفاية، والثانية من الكفن .

شـــخ الأنـفـس

حدثنا عبد الله الاصبهاني حدثنا ابو نصر قال : سمعت أبا عبدالله ابن اخي وهب يقول : سمعت الشافعي يقول (١) .

وانطلقت الدراهم بعد صمت ... أناسا بعد ما كانوا سكوتا
فما عطفوا على أحد بفضل ... ولا عرفوا لمكرمة ثبوتا

الـكـفر بالمنجمين

خبرا عنى المنجم (٢) أننى ... كافر بالذى قضته الكواكب
عالما أن ما يكون وما كان ... قضاء من المهيمن واجب

• • •

باب السفر وفوائده

فى أبياتهذا الجزء ومقطوعاته تصميم وعزيمة، واستهانة بالمخاطر، كما تبدو فيه حيوية الإمام ولعلها مما تمثل به بل ونفذها فى حياته فاستعذب السفر والرحيل حتى استقر به المقام فى أرض مصر.. وفيها انتشر مذهبه .

للسفر خمس فوائد

تغرب عن الأوطان فى طلب العلا ... وسافر ففى الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد (١)

الحض على السفر من أرض الذل

ارحل بنفسك من أرض تضام بها ... ولا تكن من فراق الأهل فى حرق
فالعنبر الخام روث فى مواطنه ... وفى التغرب محمول على العنق
والكحل نوع من الأحجار تنظره ... فى أرضه وهو مرمى على الطرق
لما تغرب حاز الفضل أجمعه ... فصار يحمل بين الجفن والحدق(٢)

حب الأهل والبلاد

إن الغريب له مخافة سارق ... وخضوع مديون وذلة موثق
فإذا تذكر أهله وبلاده ... ففؤاده كجناح طير خافق

الحض على الترحل

ما فى المقام لذى عقل وذى أدب ... من راحة فدع الأوطان واغترب
سافر تجد عوضا عمن تفارقه ... وانصب (٣) فإن لذيذ العيش فى النصب
إنى رأيت وقوف الماء يفسده ... إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب
والأسد لولا فراق الأرض ما افترست ... والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والشمس لو وقفت فى الفلك دائمة ... لملها الناس من عجم ومن عرب
والتبر (٤) كالترب ملقى فى أماكنه ... والعود فى أرضه نوع من الحطب
فإن تغرب هذا عز مطلبه ... وإن تغرب ذاك عز كالذهب

• • •

(١) ماجد : من مجد الرجل صار كريما ذا خلق طيب والماجد كريم النفس طيب الخلق .
(٢) نرى فى الأبيات جانب الإقناع العقلى بفضل السفر.. حتى لتشعر أن السفر والتغرب ضرور لطلب المعالى .
(٣) انصب : فعل أمر من نصب نصبا : جد فى الأمر واجتهد فيه .
(٤) التبر : الذهب .
وفى الأبيات نفس الاتجاه السابق فيما جاء تحت عنوان الحض على السفر .

الدهر

الدهر يومان ذا أمن وذا خطر ... يوم لك ويوم عليك

أما ترى البحر تعلو فوقه جيف ... والعيش عيشان ذا صفو وذا كدر

وفي السماء نجوم لا عداد لها ... وتستقر بأقصى قاعه الدرر

وليس يكسف إلا الشمس والقمر (٥)

اليقظة والحذر

تاه الأعيرج (٦) واستغلى به الخطر ... فقل له خير ما استعملته الحذر

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر (٧)

---

(١) الحجا : العقل .

(٢) ليس الأمر كما قال لأن العاقل الذكي ليس فقيرا بالضرورة وليس كل غني سفيها أحمق .

(٣) الجد : بفتح الجيم (الحظ) . وهو معنى عنوان الأبيات .

(٤) شاسع : بعيد .

(٥) في هذه الأمور تسكين لنفس الإنسان وإقناعه بالرضا حتى لا يجهد عقله في قياس حظهمن الذكاء بحظه من المال والجاه .

(٦) حية صماء كالأفعى قال الليث لا يؤنث والجمع الأعيرجات .

(٧) وردت في المستطرف ج٢ - ص٥١ وفيه (واستعلى به البطر) .

الرضـــا بالقـــدر

وما كنت راض من زمانى بما ترى ... ولكننى راض بما حكم الدهر [١]
فإن كان الأيام خانت عهودنا ... فإنى بها راض ولكنها قهر

رد الجميل بالسىء

ومن الشقاوة أن تحب ... ومن تحب يحب غيرك
أو أن تريد الخير للإنسان ... وهو يريد ضيرك [٢]

ليس الأمر بالقوة

أكل العقاب [٣] بقوة جيف الفلا ... وجنى الذباب الشهد وهو ضعيف

الحظوظ [٤]

تموت الأُسد فى الغابات جوعا ... ولحم الضأن [٥] تأكله الكلاب
وعبد قد ينام على حرير ... وذو نسب مفارشه التراب

تملك الأوغاد

محن الزمان كثيرة لا تنقضى ... وسروره ياتيك كالأعياد
ملك الأكابر فاسترق رقابهم ... وتراه رقا فى يد الأوغاد [٦]

• • •

---

(١) راض : الصواب راضيا والشطر الأول عكس الشطر الثانى فى المعنى فهو فى البداية غير راض ولكنه فى الشطر الثانى راض.. كما أن فى البيت الثانى عدم اتساق واضح فى نهايته فى قوله «ولكنها قهر» .

(٢) الضبر : الضرر .

(٣) العقاب : بالضم اسم طائر .

(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموى ج١٧ - ص ٣١٩ .

(٥) الأُسد : جمع مفردها أسد وتجمع على أسود ، والأنثى أسدة والأرض التى تعيش فيها الأسود تسمى ماسدة والأنثى تسمى أيضا لبؤة .

(٦) الأوغاد : جمع وغد وهو الحقير .

باب الجزاء الأمثل

فى أبيات هذا الباب تلاحظ أن الإمام استشهد بها فى مجال الكرامة وعزة النفس ويغلب على هذا الأبيات معاملة الند للند بلا تهاون فى حق النفس وإن كان في بعض هذه الأبيات غرابة لا تناسب شخصية الإمام وقد أشرنا إليها فى أماكنها .

مثلما تدين تدان

تحكموا فاستطالوا فى تحكمهم ... وعما قليل كان الأمر لم يكن
لو أنصفوا، أنصفوا لكن بغوا فبغى ... عليهم الدهر بالأحزان والمحن
فأصبحوا ولسان الحال ينشدهم ... هذا بذاك ولا عتب على الزمن

زن بما وزنت به

زن من وزنك ، بما وزنك ... وما وزنك به فزنه
من جاء إليك فرح إليه ... ومن جفاك فصد عنه
من ظن أنك دونه ... فاترك هواه إذن وهنه [1]
وارجع الى رب العباد ... فكل ما يأتيك منه

إكرام النفس

قنعت بالقوت من زمانى ... وصنت نفسى عن الهوان
خوفا من الناس أن يقولوا ... فضلا فلان على فلان
من كنت عن ماله غنيا ... فلا أبالى إذا جفانى [2]
ومن رآنى بعين نقص ... رأيته بالتى رآنى
ومن رآنى بعين تم ... رأيته كامل المعانى

عين الرضا

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدى المساويا
ولست بهياب لمن لا يهابنى ... ولست أرى للمرء مالا يرى ليا
فإن تدنى منى، تدن منك مودتى ... وإن تنأ عنى تلقنى عنك نائيا
كلانا غنى عن أخيه حياته ... ونحن إذا متنا أشد تغانيا

---

(١) هذا البيت لا مبرر له فى سياق الأبيات الأربعة ويمكن الاستغناء عنه إذ معناه يخالف ما بعده وما قبله فهو دعوة لمقابلة الظن بالإهانة وبعد ذلك يدعو للرجوع الى رب العباد الذى منه كل شيء . . فاين شكر النعم .

(٢) فى هذا البيت اتجاه بالبعد عن مكارم الأخلاق لأنه دعوة الى ربط المودة بالحاجة الى المال فمن كان محتاجا الى ماله يهمه مودته ولا يهمه مودة من كان غنيا عن ماله .

باب أدب الكلمة

احـــذر النـــاس

إذا رمت أن تحيا سليما من الردي ... ودينك مـوفـور وعـرضك صين
فلا ينطقن منك اللسان بسوأة [1] ... فكلك ســوءات وللناس ألسن
وعـيناك إن أبدت إليك مـعـايبـا ... فـدعـهـا، وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف ، وسامح من اعتدى ... ودافع ولكن بالتى هى أحـسن

ديــة الـذنــب الاعتـذار

قـيل لى قـد أسى عليك فـلان ... ومـقـام الفـتى على الذل عـار
قلت قـد جاءنى وأحـدث عـذرا ... دية الذنب عندنا الاعـتـذار

التمـاس العـذر

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا ... إن بر[2] عندك فيما قال او فجر[3]
لقـد أطاعك من يرضـيك ظاهره ... وقد أجلك [4] من يعصيك مستترا

من الورع اشتغالك بعيوبك

المرء إن كـان عـاقـلا ورعـا ... أشغله عن عـيوب غـيره ورعـه
كـمـا العليل السـقـيم أشـغله ... عن وجع الناس كلهم وجـعـه

آداب النصـــح

تعـمـدنى بنصـحك فى انفـرادى ... وجنبنى النصيحة فى الجماعة
فـــإن النصح بين الناس نوع ... من التوبيخ لا أرضى استماعه
وإن خـالفـتنى وعـصـيت قـولى ... فـلا تجـزع إذا لـم تعط طاعـه

---

(١) السواة : النقص .
(٢) بر : صدق .
(٣) فجر : كذب .
(٤) أجلك : عظمك واحترمك .

واعـــظ النـــاس

يا واعظ الناس عـمـا أنت فـاعله ... يا من يعـد عليـه العـمـر بالنفس
احـفظ لشـيبك من عـيب يدنسه ... إن البـيـاض قليل الحـمل للدنس
كـحـامل لثـيـاب الناس يغـسلهـا ... وثوبه غـارق فى الرجس والنجس
تبغى النجاة ولم تسلك طريقتها ... إن السـفـينة لا تجرى على اليبس
ركوبك النعش ينسيك الركوب على ... مـا كنت تركب من بغل ومن فـرس
يوم القـيـامـة لا مـال ولا ولد ... وضـمـه القـبـر تنسى ليلة العـرس

ومما جاء فى الوفاء بالوعد ـ وأظنه مما كان الإمام الشافعى يتـمثل به ـ قول القائل [1] .

الوفـــاء بالوعـــد

إذا قـلـت فى شىء نـعـم فـــاتمه ... فإن (نعم) دين على الحر واجب
وإلا فـقل (لا) تسـتريح وترد بهـا ... لئـلا يقـول الناس إنك كـاذب

وقول الآخر :

لا كلف الله نفسـا فـوق طاقتـهـا ... ولا تجـــود يـد إلا بمـا تجـــد
فـلا تعـد عـدة إلا وفـيت بهـا ... واحـذر خـلاف مقـال للذى تعـد

حفظ اللسان

جاء فى المستطرف ج١ ص ٦٩ .

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه لصاحبه الربيع: يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنك إذا تكلمت بالكملة ملكتك ولم تملكها، وقال بعضهم مثل اللسان مثل السبع إن لم توثقه عدا عليك ولحقك شره ومما أنشدوه فى هذا الباب .

احـفظ لسـانك أيهـا الإنسـان ... لا يـلدغـنك إنـه ثعـــبـــان
كـم فى المقـابر من قـتـيل لسـانه ... كـانت تهـاب لقـاءه الأقـران [2]

---

(١) انظر المستطرف فى كل فن مستظرف .

(٢) وهذه الرواية تدل على أن الشافعى إنما كان يتمثل باقوال غيره.. ولم يكن شاعرا وإن كانت لديه مواهب فقد استغلها فى العلم والفقه .

باب التوجه إلى الله تعالى

الوقار وخشية الله

ولولا الشعر بالعلماء يزرى ... لكنت اليوم أشعر من لبيد (١)
وأشجع فى الوغى من كل ليث ... وآل مهلب وبنى يزيد
ولولا خشية الرحمن ربى ... حسبت الناس كلهم عبيدى

التسليم الخاص

إذا أصبحت عندى قوت يومى ... فخل الهم عنى يا سعيد
ولا تخطر هموم غد ببالى ... فإن غدا له رزق جديد
أسلم إن أراد الله أمرا ... فاترك ما أريد لما يريد

لا تقنط من رحمة الله

إن كنت تغدو فى الذنوب جليدا (٢) ... وتخاف فى يوم المعاد وعيدا
فلقد أتاك من المهيمن عفوه ... وأفاض من نعم عليك مزيدا
لا تيأس من لطف ربك فى الحشا ... فى بطن أمك مضغة ووليدا (٣)
لو شاء أن تصلى جهنم خالدا ... ما كان ألهم قلبك التوحيد (٤)

من راقب الله رجع

حسبى بعلمى إن نفع ... ما الذل إلا فى الطمع
من راقب الله رجع ... ما طار طير وارتفع
إلا كما طار وقع (٥)

---

(١) الشعر المرفوض الذى لا يرضاه الإسلام هو الشائن للخلق الذى ينال من الأعراض وغير ذلك وهو الذى قال عنه النبى ﷺ «لأن يمتلىء جوف احدكم قيحا خير من ان يمتلىء شعرا» والله أعلم .

(٢) جليد : أى مصرا .

(٣) فى البيت ضعف واضح فلا داعى لقوله «فى الحشا» او «مضغة» لأن قوله «فى بطن أمك» يشتمل على كل ذلك .

(٤) أن العناية الإلهية الرحيمة أرادت بالمؤمنين خيرا . فالحمد لله على نعمة الإيمان .

(٥) هذه المقطوعة يستبعد ان يكون الإمام قالها او حتى تمثل بها فلا علاقة بين اولها وآخرها كما هو واضح .

استغفار وتوبة

قلبى برحمتك اللهم ذو أنس فى السر والجهر والإصباح والغلس[1]

قال الربيع : سمعت الشافعى يقول : أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على، وعن الربيع قال أنشدنى الشافعى [2] :

لم يفتأ الناس حتى أحدثوا بدعا فى الدين بالرأي لم يبعث بها الرسل
حتى استخف بحق الله أكثرهم وفى الذى حملوا من حقه شغل

التوكل فى طلب الرزق

توكلت فى رزقى على الله خالقى وأيقنت أن الله لاشك رازقى
ومايك من رزق فليس يفوتنى ولو كان فى قاع البحار العوامق
سيأتى به الله العظيم بفضله ولو لم يكن منى اللسان بناطق
ففى أى شيء تذهب النفس حسرة وقد قسم الرحمن رزق الخلائق

ليس كل شيء بالعقل

لو كنت بالعقل تعطى ما تريد إذن لما ظفرت من الدنيا بمرزوق
رزقت مالا على جهل فعشت به فلست أول مجنون ومرزوق

المشيئة الإلهية

قال ابن كثير [3] : كان الشافعى يقول : القرآن كلام غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، وقد كان يمر بآيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف على طريقة السلف .

قال ابن خزيمة : أنشدنى المزنى وقال : أنشدنى الشافعى لنفسه قوله :

ماشئت كان، وإن لم أشأ وماشئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد لما قد علمت ففى العلم يجرى الفتى والمسن
فمنهم شقى، ومنهم سعيد ومنهم قبيح ، ومنهم حسن
على ذا ، مننت، وهذا جذلت وذاك أعنت، وذا لم تعن

---

(١) الغلس : الظلام .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٠ ص ٢٥٤ . . وقد سبقت هذه الأبيات .
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٠ ص ٢٥٤ .

البعد عن أبواب الملوك

إن الملوك بلاء حيثما حلوا ... فلا يكن لك فى أبوابهم ظل
ماذا تؤمل من قوم إذا غضبوا ... جاروا عليك وإن أريتهم ملوا
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما ... إن الوقوف على أبوابهم ذل

تذلل واستغاثة

بموقف ذلى عزتك العظمى ... بمخفى سر لا أحيط به علما
بإطراق رأسى، باعترافى بذلتى ... بمد يدى، أستمطر الجود والرحمى[1]
بأسمائك الحسنى التى بعض وصفها ... بعزتها يستغرق النثر والنظما
بعهد قديم من ألست بربكم؟[2] ... بمن كان مجهولا فعرف بالأسماء
أذقنا شراب الأنس يا من إذا سقى ... محبا شرابا لا يضام ولا يظما[3]

أمانى الإنسان

يريد المرء أن يعطى مناه ... ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتى ومالى ... وتقوى الله أفضل ما استفادا

نكران الجميل

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محال فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع
فى كل يوم يبتديك بنعمة ... منه وأنت لشكر ذاك مضيع

لا أبالى[4]

أنت حسبى، وفيك للقلب حسب ... وحسبى إن صح لى فيك حسب
لا أبالى متى ودادك لى صح ... فرجت، وكنت أظنها لا تفرج

---

(١) الرحمى : الرحمة .

(٢) ألست بربكم : إشارة إلى العهد القديم المأخوذ على بنى آدم فى القرآن الكريم - فى قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى .. ﴾ واستخدم ﴿ ألست بربكم ﴾ كناية عن قدم العهد .

(٣) يضام : يظلم .

(٤) فى البيتين ركاكة واضحة وخاصة تكرار لفظ « حسب » فى البيت الأول، وأحسن منهما قول القائل :

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذى فوق التراب تراب

كلما اشتدت فرجت

ولرب نازلة يضيق لها الفتى ذرعا ، وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت، وكنت أظنها لا تفرج

الرضا بقضاء الله وقدره (١)

دع الأيام تفعل ما تشاء وطب(٢) نفسا إذا حكم القضاء
ولا تجزع (٣) لحادثة(٤) الليالى فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلا على الأهوال(٥) جلدا(٦) وشيمتك (٧) السماحة والوفاء
وإن كثرت عيوبك فى البرايا (٨) وسترك أن يكون لها غطاء
تستر بالسخاء فكل عيب يغطيه كما قيل السخاء (٩)
ولا ترج للأعادى قط ذلا فإن شماتة الأعداء (١٠) بلاء
ولا ترج(١١) السماحة من بخيل(١٢) فما فى النار للظمآن ماء
ورزقك ليس ينقصه التأنى وليس يزيد فى الرزق العناء(١٣)
ولا حزن يدوم ولا سرور ولا بؤس (١٤) عليك ولا رخاء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء
ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرض تقيه ولا سماء
وأرض الله واسعة ولكن إذا نزل القضا ضاق الفضاء
دع الأيام تغدر كل حين فما يغنى عن الموت الدواء

---

(١) جواهر الأدب ج٢ ـ ص٢٤٦ للمرحوم السيد أحمد الهاشمى .
(٢) طب : من طاب يطيب طيبا وطابا وتطيابا . لذا وحلا وحسن وجاد . ويقال : طابت النفس بكذا، انشرحت .
(٣) الجزع : ضد الصبر وبابه طرب، ويقال جزع من الشىء وأجزعه غيره .
(٤) حادثة الليالى : مصائبها ، ومنه أحداث الدهر : مصائبه : مصائبه، وحوادث الدهر نوائبه
(٥) الأهوال: جمع هول، من هال يهول هولا، ومنه هال الأمر فلانا افزعه . والأهوال هنا المخاوف والمصائب
(٦) جلدا : شديدا، قويا . من جلد .
(٧) شيمتك : خلقك . الشيمة : الخلق .
(٨) البرايا : المخلوقات ، ومفردها برية والأصل بهمزة والفعل برا .
(٩) السخاء : الجود . والسخى، الجواد .
(١٠) الأعدا : الأصل الأعداء وحذفت الهمزة لضرورة الشعر .
(١١) ترج : تامل . واصل الفعل ترجو واصل ترجو رجا، أى آمل قلبت الهمزة واو..
(١٢) السماحة : الجود والعطاء والصفح والفضل، وهى من سمح سماحة أى جاد، وسمح له أعطاه
(١٣) العناء : التعب والنصب والفعل عنى والمصدر عناء .
(١٤) البؤس : الحاجة والفقر واليأس . وتقول : بؤس ويباس وبئس الرجل بالكسر بؤسا وبئيسا اتدت حاجته .

بـــاب الدعـــاء

اتــق دعـــوة المظـــلوم

ورب ظلوم [١] قـد كـفـيت بحـربه ... فأوقـعه المقـدور أى وقـــــوع
فـمـا كـان لى الإسـلام إلا تعـبـدا ... لا تـتـــــــقـى بـــــــدروع
وحـسـبك أن ينجـو الظلوم وخلفـه ... سـهام دعـاء من قـسى [٢] ركـوع
مـريشـة بالهـدب [٣] من كل ساهر ... منهلة [٤] أطرافـهـا بدمـوع

قيـــمة الدعـــاء

أتهـــزأ بالدعـــاء وتزدريه [٥] ... ومـــا تدرى بما صنع الدعـــاء
ســـهـــام الليل لا تخطى ولكن ... لهـا أمـد [٦] وللأمـد انقـضـاء
فـيـمـسكهـا إذا مـا تشـاء ربى ... ويرسلهـا إذا نفـذ القـضـاء [٧]

• • •

---

(١) ظلوم : صيغة مبالغة أى كثير الظلم .

(٢) القسى : السهام النسوب .

(٣) مريشة بالهدب : كناية عن لصق شعر الأهداب فيها كما يلصق الشعر على مؤخرة السهام ليزيده سرعة، والمعنى : اتق دعوة المظلوم فإنها اشد نفاذا من السهام المريشة وإن كان ريشها هدب العيون ومددها عين المظلوم .

(٤) منهلة : مبللة .

(٥) تزدريه : تحتقره وتستهين به من زرى عليه فعله، عابه . والمصدر زراية .

(٦) الأمد : الغاية ومنتهى الشىء والجمع آماد ومنه قوله تعالى : ﴿ فطال عليهمالأمد ﴾ أى الأجل .

(٧) فى المستطرب غير منسوبة (٧) ص ٨٦ وزاد سهام الليل نافذة وفى مثل معناه :

كنت الصحيح وكنا منك فى سقم ... فإن سقمت فإنا السالمون غدا
دعت عليك أكف طالما ظلمت ... ولن ترد يد مظلومـــــة أبدا

باب العلم

منـــاظـرة

جرى بين الشافعى وبعض من صحبة مجانة فقال [١]

وأنزلنى طول النوى دار غـــربة ... إذا شئت لاقيت أمرا لا أشاكله
أحامقه [٢] حتى تقال سجية [٣] ... ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

قال الأصبهانى : حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا الحسين بن محمد بن غوث الدمشقى قال : سمعت المزنى يقول : كلم الشافعى فى بعض ما يراد منه فأنشأ يقول :

ولقد بلوتك وابتليت خليقتى ... ولقد كفاك معلمى تعليمى

زينة الإنسان العلم والتقوى

أصبر على مر الجفا من معلم ... فإن رسوب العلم فى نفراته
ومن لم يذق مر التعلم ساعة ... تجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه ... فكبر عليه أربعا لوفاته [٥]
وذات الفتى والله بالعلم والتقى ... إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

بالعلم تبنى الأمجاد

رأيت العلم صاحبه كريم ... ولو ولدته آباء لئام
وليس يزال يرفعه إلى أن ... يعظم أمره القوم الكرام
ويتبعونه فى كل حال ... كراعى الضأن تتبعه السوام [٦]
فلولا العلم ما سعدت رجال ... ولا عرف الحلال ولا الحرام

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموى ج١٧ - ص ٣١٠ .
(٢) أحامقه : أجاريه فى حمقه .
(٣) سجية : طبيعة وفطرة .
(٤) يعنى أنه لن يتغير .
(٥) إشارة إلى صلاة الجنازة .
(٦) السوام : جمع سائمة وهى الأغنام وغيرها .

العلم ما حفظت

علمى حيثما يممت [1] ينفعنى ... قلبى وعاء له لابطن صندوق
إن كنت فى البيت كان العلم فيه معى ... أو كنت فى السوق كان العلم فى السوق

أدب المناظرة

إذا ما كنت ذا فضل وعلم ... بما اختلف الأوائل والأواخر
فناظر من تناظر فى سكون ... حليما لا تلج ولا تكابر
يفيدك ما استفاد بلا امتنان ... من النكت اللطيفة والنوادر
وإيا اللجوج ومن يرائى ... بأنى قد غلبت ومن يفاخر
فإن الشر فى جنبات هزل ... يمنى بالتقاطع والتدابر

المرء بما يعلمه

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه الجحافل
وإن صغير القوم إن كانت عالما ... كبير إذا ردت إليه المحافل

تواضع العلماء

كلما أدبنى الدهر ... أرانى نقص عقل
وإذا ما ازددت علما ... زادنى علما بجهلى

نور العلم يسطع بترك المعاصى

شكوت إلى وكيع سوء حفظى ... فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وأخبرنى بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصى

شروط تحصيل العلم ستة

أخى لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء، وحرص، واجتهاد، وبلغة[2] ... وصحبة أستاذ، وطول زمان

---

(١) يممت : توجهت .
(٢) بلغة : هى ما يتبلغ به الإنسان من أمور المعاش يعنى أقل القليل .

مفخـــرة الإنســان العـلم

العلم مغرس [١] كل فخر فافتخر ... واحـذر يفـوتك فـخـر ذاك المغـرس
واعـلـم بـأن العـلـم لـيس يـنـالـه ... من همـــه فى مطعم أو ملبس
إلا أخـــو العـلم الذى يعنى به ... فى حـالتـيـه عـاريا أو مكتـسى
فـاجـعل لنفـسك منه حظا وافـرا ... واهجر له طيب الرقاد وعبس [٢]
فلعل يومـا إن حـضـرت بمجلس ... كنت الرئيس وفـخـر ذاك المجلس

جهـــاده فى طلب العـلم

ســهــرى لتنقـيح العلوم ألذ لى ... من وصل غـانيـة [٣] وطيب عناق
وصرير [٤] أقلامى على صفحاتها ... أحلى من الدوكـاء [٥] والعـشـاق
وألذ من نقـر الفـتـاة لدفـعـهـا ... نقـــرى لألقى الرمل عن أوراقى
وتمايلى طربا لحل عـويصـة [٦] ... فى الدرس أشهى من مدامة ساقى
وأبيت ســهـران الدجـا وتبـيـتـه ... نومـا وتبـغى بعـد ذاك لحـاقى ؟

يأتـى العـلم بالتفـرغ

لا يدرك الحكمـة من عـمـره ... يكدح فى مـصلحـة الأهل
ولا ينـال العـلـم إلا فـــتـى ... خـــال من الأفكار والشـــغل
لو أن لقـمـان الحكيم الذى ... سـارت به الركـبـان بالفـضل
بلى بفـقـر وعـيـال لما ... فـــرق بين التبن والبـــقل

النـاس خـدم العـلم

العلم من فـضله، لمن خـدمـه ... أن يجـعل الناس كلهم خـدمـه
فـواجب صـونه عليـه كـمـا ... يصـوت الناس عـرضـه ودمـه
فـمن حـوى العلم ثم أودعـه ... بجـهله غـيـر أهله ظلمـه

---

(١) مغرس : أرض (مكان الغرس)
(٢) عبس : يقصد تحمل الآلام والكآبة فى سبيل العلم .
(٣) غانية : جميلة (سميت كذلك لاستغنائها بجمالها الطبيعى)
(٤) صرير : صوت .
(٥) الدوكاء : الصياح والأنغام .
(٦) عويصة : أى مسالة صعبة .

أخبر عثمان بن محمد العثمانى وحدث عنه أبو محمد بن حيان قال : حدثنا أبو على النيسابورى ـ ببغداد ـ حدثنى بعض أصحابنا أن محمد بن إدريس الشافعى لما دخل مصر أتاه جلة أصحاب مالك وأقبلا عليه فابتدأ يخالف ثم أنشد قائلا :

العلم ومكانته

أأنثر درا [١] بين سارحة البهم [٢] ... وأنظم منشورا [٣] لراعية الغنم؟
لعمرى لئن ضيعت فى شر بلدة ... فلست مضيعا فيهم غرر الكلم [٤]
لئن سهل الله العزيز بلطفه [٥] ... وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
بثثت [٦] مفيدا واستفدت ودادهم ... وإلا فمكنون لى ومكتتم
ومن منح الجهال علما أضاعه ... ومن منع المستوجبين [٧] فقد ظلم [٨]

أفضل العلوم

وقال الشافعى رحمه الله تعالى بعد حديثه : إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث، فكأنما رأيت رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ، جزاهم الله خيرا، حفظوا لنا الأصل، فلهم علينا الفضل :

وكل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وعلم الفقه فى الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا ... وما سوى ذاك وسواس الشياطين

ولنا على ذلك تعليق أن هناك العلوم التجريبية النافعة للناس إذا استخدمت فى وجوهها ولعلهم كانوا متأثرين بما كان سائدا من خروج على الدين باسم الفلسفة وغيرها .

---

(١) وفى حلية الأولياء للأصبهانى ج٩ ـ ص١٥٣وسط وفى معجم الأدباء بين ص٣٠٧ ـ ج١٧ .

(٢) البهم : اسم، جمع بهمة، وهى عجماوات الضأن والمعز. وقد ورد هذا البيت فى موضع آخر بلفظ (النعم) .

(٣) وفى حلية الأولياء ج٩ ـ ١٥٣أأنظم بدل وأنظم .

(٤) وفى حلية الأولياء الحكم بدل الكلم ج٩ ـ ص١٥٣

(٥) (فإن فرج الله اللطيف) بدلا من لئن سهل الله . . حلية الأولياء ج٩ ـ ص ١٥٣ .

(٦) بثثت : نشرت .

(٧) المستوجبين : المستحقين الجديرين بتلقى العلم .

(٨) معجم الأدباء لياقوت ج١٧ ـ ص ٣٠٧ . وقريب منه ما ورد فى الخبر « واضع العلم فى غير أهله كمقلد الخنازير الجواهر » والله أعلم .

قال الأصبهانى : حدثنا محمد بن عبدالرحمن ، قال : سمعت محمد بن بشير الآبرى يقول : كنت عند الشافعى فجاء رجل فكلمه بكلام، فأنشأ الشافعى يقول [1] :

جنونك مجنون ولست بواجد طبيبا يداوى من جنون مجنون [2]

الفقه والتصوف متلازمان

فقيها وصوفيا فكن ليس واحدا فإنى وحق الله إياك أنصح
فذلك قاس [3]، لم يذق قلبه تقى وهذا جهول [4]، فكيف بالله يصلح

• • •

(١) البداية والنهاية لابن كثير الحافظ ج١٠ ـ ص٢٥٤ . حلية الأولياء ص ١٤٧ ـ ج.

(٢) فى البيت تكلف واضح ولا معنى له فكيف يكون الجنون مجنونا؟ إنه عودة للعقل . كما نقول : خرب الخراب أى صار عامرا وهو يريد غير ذلك .

(٣) أى أن الفقيه قاس إذا لم يكن عنده ورع .

(٤) أى أن الصوفى عرضة للفساد إذا لم يكن عالما وهذا معنى جيد .

باب حب آل البيت والأئمة

الإمام فى أبيات هذا الباب يحاول جهده أن يقتلع فكرة خاطئة سادت فى الجو الفكرى لمدة طويلة فلقد انتشرت الفرق، وتشبثت كل فرقة بمبادىء ما أنزل الله بها من سلطان واتخذ الخلاف بين المسلمين أبعادا خطيرة فالخوارج كفرت غيرهم واستحلت دماء الأئمة ، والشيعة كانت لها آراء متطرفة . . وكل ذلك أدى إلى تفكك الأمة الإسلامية .

حبه لآل البيت

يا راكبا قف بالمحصب من منى ... واهتف بقاعد خفيها والناهض
سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضا كملتطم الفراق الفائض
إن كان رفضا حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أنى رافض[1]

حبه لآ البيت والخلفاء الراشدين

إذا نحن فضلنا عليًا فإننا ... روافض بالتفضيل عند ذوى الجهل
وفضل أبى بكر إذا ما ذكرته ... رميت بنصب[2] عند ذكرى للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما ... بحبيهما حتى أوسد فى الرمل

حبه لآل البيت فرض من الله

يا آل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم ... من لم يصل عليكم لا صلاة له[3]

حب على وسبطيه وفاطمة

إذا فى مجلس نذكر عليا ... وسبطيه وفاطمة الزكية
يقال تجاوزوا يا قوم هذا ... فهذا من حديث الرافضية
برئيت إلى المهيمن من أناس ... يرون الرفض حب الفاطمية

---

(١) الروافض هم جماعة من الشيعة يرفضون إمامة أبى بكر وعمر ويرون أنهما اغتصبا الخلافة من على - ولاشك أن فى ذلك مغالاة ولا يلزم أن يكون الإنسان رافضيا ليحب آل البيت . . ولا مانع من حب آل البيت وجميع الصحابة معا - والله أعلم .

(٢) ها يؤكد الجهل الذى ينتشر مع التعصب والمغالاة بين الفرق .

(٣) وذلك فى التشهد .

التـــرفـــض

قـــالوا ترفـــضت، قلت: كـــلا ... مـــا الرفض دينى ولا اعـــتـــقـــادى
لكـن تـوليـت غـــيـــــر شك ... خـــيـــر إمـــام وخـــيـــر هادى
إن كـــان حب الولى رفـــضـــا ... فـــإن رفـــضى إلى العـــبـــاد

الخلفـــاء الراشـــدون

شـــهـــدت بأن الله لا رب غـــيـــره ... وأشـــهـــد أن البـعث حق وأخلص
وأن عـــرا الإيمان قـــول مـــبين ... وفـــعل زكى قـــد يزيد وينقص
وأن أبا بكر خـليـــفـــة ربه ... وكان أبو حفص[1] على الخير يحرص
أئمـــة قـــوم يهـــتـــدى بهـــداهم ... لحى الله من إياهم يتنقص[2]

أبـــو حنيـــفـــة

لقـــد زان البـــلاد ومن عليـــهـــا ... إمـــام المسلمين أبو حنيـــفـــة
بـاحـكـام وآثـار وفـــقـــه ... كـآيات الزبور على الصـحـيـفـة
فـــمـــا بالمشـــرقين له نظير ... ولا بالمغـــربين ولا بكوفـــة[3]
فـــرحـــمـــة ربنا أبدا عليـــه ... مـدى الأيام مـا قـرئت صحـيـفـة

• • •

(١) أبو حفص: عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وقوله (خليفة ربه) غير دقيق لأن أبا بكر خليفة رسول الله وليس خليفة الله.

(٢) لحى الله فلانا: قبحه.

(٣) لا داعى لقوله «ولا بكوفة» بعد حديثه عن المشرقين والمغربين.

باب شكوى الناس
ومرارة الأيام

نلحظ فى معظم أبيات هذا الباب جوا من الضيق وشكوى الزمن والناس حتى يخيل إلى من يقرؤه أن الإمام الشافعى رضى الله عنه كان يائسا أو منعزلا عن الناس، وهذه الأبيات تلائم أصحاب النفوس المضطربة كما يمكن الاستعانة بها على مواقف المعاناة .

ولعلك عندما تقرأ هذه الأبيات تعرف كيف يسودها جو التشاؤم وهو ما ننصح بتجنبه بل ونحذر من الاستسلام له، ونذكر القارىء بدعوة الإسلام إلى التسامح والتعاطف تلك الدعوة التى تعالج النفوس وتطمئن القلوب .

ولعل لسان حال الإمام الشافعى يقول فى هذا الباب :

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ... والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يمزق بعضه ... بعضا ليدفع معور عن معور
حلف الزمان ليأتين بمثلهم ... حنثت يمينك يا زمان فكفر

حياة الأشراف واللئام

أى حمر ترعى وتعلف ما تهوى ... وأسد جياع تظمأ الدهر لا ترى
وأشراف قوم لا ينالون قوتهم ... وقوم لئام تأكل المن والسلوى
قضاء لديان الخلائق سابق ... وليس على مر القضا أحد يقوى
فمن عرف الدهر الخؤون وصرفه [1] ... تصبر للبلوى ولم يظهر الشكوى

ود الناس

إنى صحبت أناسا ما لهم عدد ... وكنت أحسب أنى قد ملأت يدى
لما بلوت أخلائى [2] وجدتهم ... كالدهر فى الغدر لم يبقوا على أحد
إن غبت فشر الناس يشتمنى ... وإن مرضت فخير الناس لم يعد
وإن رأونى بخير ساءهم فرحى ... وإن رأونى بشر سرهم نكدى

---

(١) صرفه : تصرفه وما يصيب به .

(٢) الأخلاء : الأصدقاء .

قلة الإخوان عند الشدائد

ولما أتيت الناس أطلب منهم ... أخا ثقة عند ابتلاء الشدائد
تقلبت فى دهرى رخاء وشدة ... وناديت فى الأحياء هل من مساعد ؟
فلم أر فيما ساءنى غير شامت ... ولم أر فيما سرنى غير جاحد

التنسيك المبطن

حدث عبدالله بن محمد بن جعفر، قال حدثنا عبدالله بن محمد بن يعقوب، حدثنا أبو حاتم ، حدثنا حرملة قال: سمعت الشافعى يقول [١] :

ودع الذين إذا أتوك تنسكوا ... وإذا خلوا فهم ذئاب حقاف [٢]

البلاء من أنفسنا

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب ... ولو نطق الزمان لنا هجانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب ... ويأكل بعضنا بعضا عيانا

الضر من غير قصد

رام نفعا فضر من غير قصد ... ومن البر ما يكون عقوقا [٣]

مساءة الظن [٤]

لا يكن ظنك إلا شيئا ... إن سوء الظن من أقوى الفطن(٥)
ما رمى الإنسان فى مخمصة [٦] ... غير حسن الظن والقول الحسن [٧]

---

(١) الرازى فى كتابة آداب الشافعى ص ٣٧٢ .

(٢) ذئاب حقاف وكذا فى الطبقات والجوهر وهو: حلية الأولياء ج٩ ـ ص١٥٤ ذئاب خراف .

(٣) وفيات الأعيان ج٣ ـ ص٣٠٨ . رام: طلب والعقوق الإساءة وهى عكس البر .

(٤) قال فى الديوان تعليقا على البيتين إنهما يستبعد أن يكون للإمام ولكنه أثبته لأمانة النقل فقط ولا يستبعد أن يكون قد تمثل بهما فى موقف استدعاهما .

(٥) الفطن: جمع فطنة وهى من الذكاء والدهاء .

(٦) مخمصة : مجاعة وشدة .

(٧) لعله يقصد الخديعة بالكلام وإلا فقد قال الله تعالى : ﴿ وقولا للناس حسنا ﴾ .

تـرك الهمـوم

سـهـرت أعين، ونامت عـيـون ... فـى أمـــور تكون أو لا تكون
فادرأ[1] الهم ما استطعت عن النفس ... فـحـمـلانك الهـمـوم جنون
إن ربا كـفـاك بالأمس مـا كـان ... سيكفيك فى غـد مـا يكون[2]

الأصدقاء عند الشدائد

صـــديق ليس ينفع يوم بؤس ... قـريب من عـدو فى القـيـاس
ومـا يبقى الصديق بكل عصر ... ولا الإخـــوان إلا لـلتـــآسى
عـمرت الدهر ملتمسا بجدى ... أخـا ثقـة فـألهـانى التـمـاسى
تنكرت البـلاد ومن عليـهـا ... كـأن أناسـهـا ليـسـوا بناسى

أسس الصداقة (٣)

إذا المرء لا يرعـاك إلا تكلفـا ... فـدعـه ولا تكثـر عليـه التـأسـفـا
ففى الناس أبدال وفى الترك راحة ... وفى القلب صبر للحبيب ولو جفا
فـمـا كل من تهـواه يهـواك قلبـه ... ولا كل من صافيته لك قد صفا
إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة ... فـلا خـيـر فى خل يجىء تكلفـا
ولا خـيـر فى خل يخـون خليلة ... ويلقـاه من بعـد المودة بالجـفـا
وينكر عـيـشا قـد تقـادم عـهـده ... ويظهـر سرا كـان بالأمس قد خـفـا
سلام على الدنيا إلا لم يكن بها صد ... يق صـدوق الوعـد منصـفـا[4]

حب الصالحين

أحب الصـالحين ولست منهم ... لعلى أن أنال بهم شـفـاعـة
وأكـره من تجـارته المعـاصى ... ولو كنا سـواء فى البـضـاعـة

---

(١) ادرأ : ادفع .

(٢) ليس الأمر كذلك والأبيات يسودها جو نفسى كئيب شأن غيرها فى هذا الباب .

(٣) وردت فى الديوان تحت عنوان « صفو الوداد والخل الصدوق » .

(٤) فى الأبيات حكمة « وتعقل وهى تحدد أين تبدأ الصداقة الحقيقية وأين تنتهى ويغلب على الأبيات الإطار الفكرى ولكنها خالية من حرارة الوجدان اللهم إلا من جو الضيق بالناس . . ويبدو التكلف فى الشطر الأخير « صديق صدوق صادق » .

نادرة الخالص من الأصحاب

كن سكانا فى ذا الزمان بسيره ... وعن الورى كن راهبا فى ديره
واغسل يديك من الزمان وأهله ... واحذر مودتهم تنل من خيره[1]
إنى اطلعت فلم أجد لى صاحبا ... أصحبه فى الدهر ولا فى غيره
فتركت أسفلهم لكثرة شره ... وتركت أعلاهم لقلة خيره[2]

الوحدة خير من جليس السوء

إذا لم أجد خلا تقيا فوحدتى ... ألذ وأشهى من غوى أعاشره
وأجلس وحدى للعبادة آمنا ... أقر لعينى من جليس أحاذره

خيرة الأصحاب

أحب من الإخوان كل مواتي ... وكل غضيض الطرف[3] عن عثراتى
يوافقنى فى كل أمر أريده ... ويحفظنى حيا وبعد مماتى
فمن لى بهذا؟ ليت أنى أصبته ... لقاسمته مالى من الحسنات
تصفحت إخوانى فكان أقلهم ... على كثرة الإخوان أهل ثقاتى

مكرم الناس

حدث محمد بن إبراهيم قال: حدث شعيب بن محمد الدبيلى قال أنشدنا الشافعى:

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة ... وليتنا[4] لا نرى مما نرى أحدا
إن الكلاب لتهدى فى مواطنها[5] ... والخلق ليس بهاد شرهم أبدا
فاهرب[6] بنفسك واستأنس بوحد ... تها تنل سعدا إذا ما كنت منفردا[7]

(١، ٢) هل هذا الكلام يليق بالإمام الشافعى أن يقوله؟ هل يعقل أن ينهى الفقيه عن مودة الناس وأن ينعزل عن أعلاهم وأسفلهم ..؟

(٣) كناية عن التسامح.

(٤) وفى رواية الربيع ألنا بدل ليتنا.

(٥) وفى رواية الربيع أيضا مرابضها.

(٦) فاخ بدل فاهرب (رواية الربيع).

(٧) كلام لا يليق بالشافعى كما قلنا.

مقامات البشر (١)

أصبحت مطرحا فى معشر جهلوا ... حق الأديب فباعوا الرأس[٢] بالذنب
والناس يجمعهم شمل، وبينهم ... فى العقل فرق وفى الآداب والحسب
كمثل ما للذهب الإبريز يشركه ... فى لونه الصفر، والتفيل للذهب
والعود لو لم تطلب منه روائحه ... لم يفرق الناس بين العود والحطب

محط الرجاء

إذا رمت المكارم من كريم ... فيمم من بنى لله بيتا
فذاك الليث من يحمى حماه ... ويكرم ضيفه حيا وميتا

• • •

---

(١) وردت فى الديوان تحت عنوان « الأديب » . والصفر فى الأبيات أى النحاس .

(٢) باعوا الرأس بالذنب أى ضاعت عندهم المقامات وانقلبت المعايير .

باب الحديث عن المرأة

هـذا يـوم دعـاء

قرأت فى أمال أملاها أبو سليمان الخطابى على بعض تلاميذه قال الشيخ: كان الشافعى ـ رحمه الله تعالى ـ يوما من أيام الحج جالسا للنظر، فجاءت امرأة فألقت إليه رقعة فيها [1] :

عـفـا الله عن عـبـد أعـان بدعـوة ... خليلين كـــانا دائمين على الود
إلى أن مشى واشى [2] الهوى بنميمة ... إلى ذاك من هذا فـزالا عن العـهـد

قال : فبكى الشافعى – رحمه الله تعالى – وقال : ليس هذا يوم نظر: هذا يوم دعاء ، ولم يزل يقول: اللهم اللهم حتى تفرق أصحابه [3] .

التواضـــع

كيف الوصول الى سعاد ودونها ... قلل الجبال ودونهن حتوف [4]
الرجل حـافـيـة ولا لى مـركب ... والكف صـفـر والطريق مـخـوف

الهـــــوى

روى ياقوت الحموى فقال : بلغنى أن رجلا جاء الشافعى برقعة فيها [5] :

سل الفـــتى المكى من آل هاشم ... إذا اشتد وجد [6] بامرىء ماذا يصنع

قال الشافعى تحته :

يداوى هواه ثم يكتم وجـــده ... ويصبر فى كل الأمور ويخضع

فأخذها صاحبها وذهب بها، ثم جاء وقد كتب تحت هذا البيت الذى هو الجواب :

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموى ج١٧ ـ ص ٣٠٦ .
(٢) الواشى : النمام .
(٣) هل هناك أيام للنظر؟ اللهم لا . . وهذا مما يشك فى الرواية من أساسها .
(٤) حتوف : جمع حتف وهو الهلاك .
(٥) الوجد : الحب والشوق .

فكيف يداوى الهوى قاتل الفتى وفى كل غصة[1] يتجزع

فكتب الشافعى : رحمه الله تعالى :

فإن هو لم يصبر على ما أصابه فليس له شيء سوى الموت أنفع

حدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكم عن الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه، قال : تزوج رجل أمرأة جديدة على امرأة قديمة ، فكانت جارية الجديدة تمر على بيت القديمة ، فتقول :

وما يستوى الرجلان رجل صحيحة وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعوب وتقول :

وما يستوى الثوبات ثوب به البلى وثوب بأيدى البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت :

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل فى الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل[2]

القبلة فى الصيام [3]

وحدث الربيع بن سليمان قال : كنا عند الشافعى إذ جاءه رجل برقعة فنظر فيها وتبسم، ثم كتب فيها ودفعها إليه قال : فقلنا يسأل الشافعى عن مسألة لا ننظر فيها وفى جوابها؟ فلحقنا الرجل وأخذنا الرقعة فقرأنا وإذا فيها [4] .

سل الفتى [5] المكى فى تزاور وضمة مشتاق الفؤاد جناح[6]

قال : وإذا أجابه أسفل من ذلك :

أقول : معاذ الله أن يذهب التقى تلاصق أكباد بهن جراح .

---

(١) الغصة : الشجا : وما غمى الإنسان من طعام أو غيظ وما اعترض فى الحلق فاشرق، والهم والحزن .

(٢) المستطرف ج ٢ ـ ص ١٨٧ .

(٣) فى الديوان تحت عنوان فراسة مفتى ولا يعطى المضمون .

(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموى ج١٧ ـ ص ٣٠٥

(٥) الفتوى لا تؤخذ بهذه الصورة من التورية بالمطلوب .

(٦) جناح : لوم وإثم .

قال الربيع فأنكرت على الشافعى أن يفتى لحدث بمثل هذا فقلت يا أبا عبدالله تفتى بمثل هذا شابا؟ فقال لى : يا أبا محمد وهذا رجل هاشمى قد عرس هذا الشهر - يعنى شهر رمضان - وهو حدث السن، فسأله هل عليه جناح أن يقبل أو يضم من غير وطء ؟ فأفتيته بهذه الفتيا .

قال الربيع : فتبعت الشاب فسأله عن حاله فذكر لى أنه مثل ما قال الشافعى فما رأيت فراسة أحسن منها .

المزاح

وحدث ياقوت الحموى بإسناد رفعه الى ابن عمر ثم الى الشافعى قال : كان لأبى عبدالله الشافعى امرأة تزوجها من قريش بمكة وكان يمازحها ويقول :

ومن البلية أن تحب ... سب ولا يحبك من تحبه
ويصعد عنك بوجهه ... وتلح أنت فلا تغبه

عفوا تعف نساؤكم

عفوا تعف نساؤكم فى المحرم ... وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
إن الزنا دين إن أقرضته ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلم
يا هاتكا حرم الرجال وقاطعا ... سبل المودة عشت غير مكرم
لو كنت حرا من سلالة ماجد ... ما كنت هتاكا لحرمة مسلم
من يزنى يزن به ولو بجداره ... إن كنت يا هذا لبيبا فافهم

جهدا البلاء

أكثر الناس فى النساء وقالوا ... إن حب النساء جهد [1] البلاء
ليس حب النساء جهدا ولكن ... قرب من لا تحب جهد البلاء[2]

• • •

(١) بالفتح والضم الطاقة وقرىء بهما قوله تعالى : ﴿والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾ والجهد بالفتح المشقة . ويقال جهد : بالفتح الرجل بكذا جد فيه وبالغ وبابهما قطع .

(٢) بعيد أن يكون هذا للإمام الشافعى .

باب الموت والآخرة

نلحظ فى مقطوعات هذا الباب الدعوة إلى الاستعداد للموت والعمل له والاعتراف بالذنب والدعوة الى ترك الغرور، كما يغلب عليه جانب النصح والإرشاد .

التأهب للآخرة

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها ... يمسى ويصبح فى دنيا سفارا
هلا تركت لذى الدنيا معانقة ... حتى تعانق فى الفردوس أبكارا
إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنا ... فينبغى لك ألا تأمن النارا

وداع الدنيا والتأهب للآخرة (١)

حدث المزنى وهو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيي قال: دخلت على الشافعى فى مرضه الذى مات فيه فقلت :

كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلا، وللإخوان مفارقا، ولكأس المنية شاربا، وعلى الله جل ذكره واردا، ولا والله ما أدرى روحى تصير إلى الجنة أم الى النار؟ فأعزيها ثم بكى وأنشأ يقول :

ولما قسا قلبى، وضاقت مذاهبى ... جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى(٢) فلما قرنته ... بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منة وتكرما
فلولا لم يصمد لإبليس عابد ... فكيف وقد أغوى صفيك آدما
فلله در العارف الندب إنه ... تفيض لفرط الوجد أجفانه دما
يقيم إذا ما الليل من ظلمائه ... على نفسه من شدة الخوف مأتما
فصيحا إذا ما كان فى ذكر ربه ... وفيما سواه فى الورى كان أعجما
ويذكر أياما مضت من شبابه ... وما كان فيها بالجهالة أجرما
فصار قرين الهم طول نهاره ... أخا السهد والنجوى إذا الليل أظلما
عسى من له الإحسان يغفر زلتى ... ويستر أوزارى وما قد تقدما

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموى ج١٧ - ٣٠٢ .
(٢) أى عظم على .

تعـــزيـــة

جاء فى كتاب مفيد العلوم ومبيد الهموم تاليف جمال الدين أبو بكر الخوارزمى ص ٢٨٦ جزع ابن المهدى على ابن له مات حتى امتنع من الطعام فكتب إليه المطلبى الشافعى رضى الله عنه: أما بعد : فعز نفسك بما تعزى به غيرك وأعلم أن أغص المصائب فقد سرور مع حرمان أجر فكيف إذا اجتمعا على اكتساب وزر.. وأنشد

إنى أعـــزيك لا أنى على طمع ... من الخلود ولكن سنة الدين
فما المعزى بباقى بعد صاحبه ... ولا المعزى وإن عاشا إلى حين[١]

الاستعداد للمنايا

كم ضاحك والمنايا فوق هامته ... لو كان يعلم غيبا مات من كمد[٢]
من كان لم يؤت علما فى بقاء غد ... ماذا تفكره فى رزق بعد غد

سفينة المؤمن

إن لله عـــبـــادا فطنا[٣] ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة[٤] واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

مـوت الأحبة

سأصبر للحمام[٥] وقد أتانى ... وإلا فهو آت بعد حين
وإن أسلم يمت قلبى حبيبى ... وموت أحبتى قبلى يسونى[٦]

الموت سبيل كل حى

قال الأصبهانى : حدثنا ابن القاسم قال : أملى علينا الزبير بن عبدالواحد يقول سمعت الحسن بن سفيان يقول: سمعت حرملة يقول: سمعت الشافعى يقول:

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموى ج١٧ ـ ص ٣٠٨ .
(٢) كمد : حزن . (٣) فطنا : أذكياء .
(٤) اللجة : الأمواج (٥) الحمام (بكسر الحاء) : الموت .
(٦) يسونى : يسوءنى ويحزننى .

تمنى رجال أن أموت وإن أمت، فتلك سبيل لست فيها بأوحد
وما موت من قد مات قبلى بضائرى[1] ولا عيش من قد عاش بعدى بمخلدى
لعلى الذى يرجو فنائى ويدعى به قبل موتى أن يكون هو الردى[2]

مظاهر الشيب ومحاسن الأعمال

خبت[3] نار نفسى باشتعال مفارقى[4] وأظلم ليلى إذ أضاء شهابها
أيا بومة[5] قد عشت فوق همتى[6] على الرغم منى حين طار غرابها
رأيت خراب العمر منى فزرتنى ومأواك من كل الديار خرابها
أأنعم عيشا بعد ما حصل عارضى[7] طلائع شيب ليس يغنى خضابها[8]
إذا اصفر لون المرء وابيض شعره تنغض من أيامه مستطابها[9]
فدع عنك سواءت[10] الأمور فإنها نفس التقى ارتكابها
وأد زكاة الجاه[11] واعلم بأنها كمثل زكاة المال تم نصابها[12]
وأحسن إلى الأحرار تملك رقابهم فخير تجارات الكرام اكتسابها
ولا تمشين فى منكب الأرض[13] فاخرا فعلما قليل يحتويك ترابها
ومن يذق الدنيا فإنى طعمتها وسيق إلينا عذبها وعذابها
فلم أرها إلا غرورا وباطلا كما لاح[14] فى ظهر الفلاة[15] سرابها[16]

* * *

---

(١) ضائرى : جالب الضرر لى .
(٢) الردى : الميت .
(٣) خبت النار : طفئت .
(٤) المفرق : وسط الرأس وهو الذى يفرق فيه .
(٥) البومة والبوم : طائر، كلاهما للذكر والأنثى (ويسكن الخرائب) .
(٦) الهامة : الرأس والجامع هام، وهامة القوم رئيسهم .
(٧) العارض : صفحة خد الإنسان ومنه المثل رجل خفيف العارضين أى خفيف شعر عارضيه .
(٨) الخضاب : ما يلون به الشعر من حناءه ونحوه .
(٩) تنغض : تكدر وساء ومنه نغض الله عليه العيش تنغيصا أى كدره ، وقد جاء فى الشعر نغضه وأنشد الأخفش :

لا أرى الموت يسبق الموت شئ نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

(١٠) سواءت الأمور : قبيحها وساقطها .
(١١) الجاه : القدر والمنزلة .
(١٢) النصاب : المقدار الذى تجب فيه الزكاة .
(١٣) منكب الأرض : الطريق ، والجمع مناكب .
(١٤) لاح : لاح يلوح لوحا بدا وظهر .
(١٥) الفلاة : الصحراء الواسعة والجمع فلا وفلوات .
(١٦) السراب : الذى تراه نصف النهار وكانه ماء فى الصحراء .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
باب حسن الخلق	٦
كتمان الأسرار	٦
حمل النفس على ما يزينها	٦
تعريف الفقيه والرئيس والغنى	٦
القناعة	٦
مكارم الأخلاق	٧
تأنى العزة بالقناعة	٧
الإعراض عن الجاهل	٧
توقير الرجال	٧
السماحة وحسن الخلق	٧
الفضل	٨
الزهد ومصير الظالمين	٨
السكوت سلامة	٩
الصمت خير من حشو الكلام	٩
فضل السكوت	٩
باب الفخر والعزة بالنفس	١٠
الاعتزاز بالنفس	١٠
علو الذكر	١٠
الإيثار والجود	١٠
عزة النفس	١٠
الهمة العالية	١١
قوة	١١
الشاعر المنطيق	١١
الجود	١٢
حقوق الناس	١٢
منتهى الجود	١٣
باب من أمراض النفس	١٤
فساد طبائع الناس	١٤
حصيد البدع	١٤
مدارة الحساد	١٤
مرارة تحميل الجميل	١٤
المنة	١٤
شح الأنفس	١٥

الموضوع	الصفحة
الكفر بالمنجمين	١٥
باب السفر وفوائده	١٦
للسفر خمس فوائد	١٦
الحض على السفر من أرض الذل	١٦
حب الأهل والبلاد	١٦
الحض على الترحال	١٦
باب تقلب الأحوال	١٧
الجد	١٧
الدهر يوم لك ويوم عليك	١٧
اليقظة من الحذر	١٧
الرضا بالقدر	١٨
رد الجميل بالسئ	١٨
ليس الأمر بالقوة	١٨
الحظوظ	١٨
تملك الأوغاد	١٨
باب الجزاء الأمثل	١٩
مثلما تدين تدان	١٩
زن بما وزنت به	١٩
إكرام النفس	١٩
عين الرضا	١٩
باب أدب الكلمة	٢٠
احذر الناس	٢٠
دية الذنب الاعتذار	٢٠
التماس العذر	٢٠
من الورع اشتغالك بعيوبك	٢٠
آداب النصح	٢٠
واعظ الناس	٢١
الوفاء بالوعد	٢١
حفظ اللسان	٢١
باب التوجه إلى الله تعالى	٢٢
الوقار وخشية الله تعالى	٢٢
التسليم الخالص	٢٢
لا تقنط من رحمة الله	٢٢
من راقب الله رجع	٢٢
استغفار وتوبة	٢٣
التوكل فى طلب الرزق	٢٣
ليس كل شئ بالعقل	٢٣

الموضوع	الصفحة
المشيئة الإلهية	٢٣
البعد عن أبواب الملوك	٢٤
تذلل واستغاثة	٢٤
أماني الإنسان	٢٤
نكران الجميل	٢٤
لا أبالي	٢٤
كلما اشتدت فرجت	٢٥
الرضا بقضاء الله وقدره	٢٥
باب الدعاء	٢٦
اتق دعوة المظلوم	٢٦
قيمة الدعاء	٢٦
باب العلم	٢٧
مناظرة	٢٧
زينة الإنسان بالعلم والحلم	٢٧
بالعلم تبنى الأمجاد	٢٧
العلم ما حفظت	٢٨
أدب المناظرة	٢٨
المرء بما يعلمه	٢٨
تواضع العلماء	٢٨
نور العلم يسطع بترك المعاصي	٢٨
شروط تحصيل العلم ستة	٢٨
مفخرة الإنسان العلم	٢٩
جهاده في طلب العلم	٢٩
يأتي العلم بالتفرغ	٢٩
الناس خدم للعلم	٢٩
العلم ومكانته	٣٠
أفضل العلوم	٣٠
الفقه والتصوف	٣١
باب حب آل البيت والأئمة	٣٢
حبه لآل البيت	٣٢
حبه لآل البيت والخلفاء الراشدين	٣٢
حب آل البيت فرض من الله	٣٢
حب علي وسبطيه وفاطمة	٣٢
الترفض	٣٣
الخلفاء الراشدين	٣٣
أبو حنيفة	٣٣

باب شكوى الناس ومرارة الأيام	٣٤
حياة الأشراف واللئام	٣٤
ود الناس	٣٤
قلة الإخوان عند الشدائد	٣٥
التنسك المبطن	٣٥
البلاء من أنفسنا	٣٥
الضرر عن غير قصد	٣٥
مساءة الظن	٣٥
ترك الهموم	٣٦
الأصدقاء عند الشدائد	٣٦
أسس الصداقة	٣٦
حب الصالحين	٣٦
نادرة الخالص من الأصحاب	٣٧
الوحدة خير من جليس السوء	٣٧
خيرة الأصحاب	٣٧
مكر الناس	٣٧
مقامات البشر	٣٨
محط الرجاء	٣٨
باب الحديث عن المرأة	٣٩
هذا يوم دعاء	٣٩
التواضع	٣٩
الهوى	٣٩
القُبلة فى الصيام	٤٠
المزاح	٤١
عفوا تعف نساؤكم	٤١
جهد البلاء	٤١
باب الموت والآخرة	٤٢
التأهب للآخرة	٤٢
وداع الدنيا	٤٣
تعزية	٤٣
الاستعداد للمنايا	٤٣
سفينة المؤمن	٤٣
موت الأحبة	٤٣
الموت سبيل كل حى	٤٣
مظاهر الشيب ومحاسن الأعمال	٤٤
الفهرس	٤٥

ديوان
الإمام الشافعي

البلاء من أنفسنا

نغيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب
ولو نطق الزمان لنا هجانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب
ويأكل بعضنا بعضا عيانا

دار المنار

مكتبة الحسام المصورة
غفر الله له ولوالديه

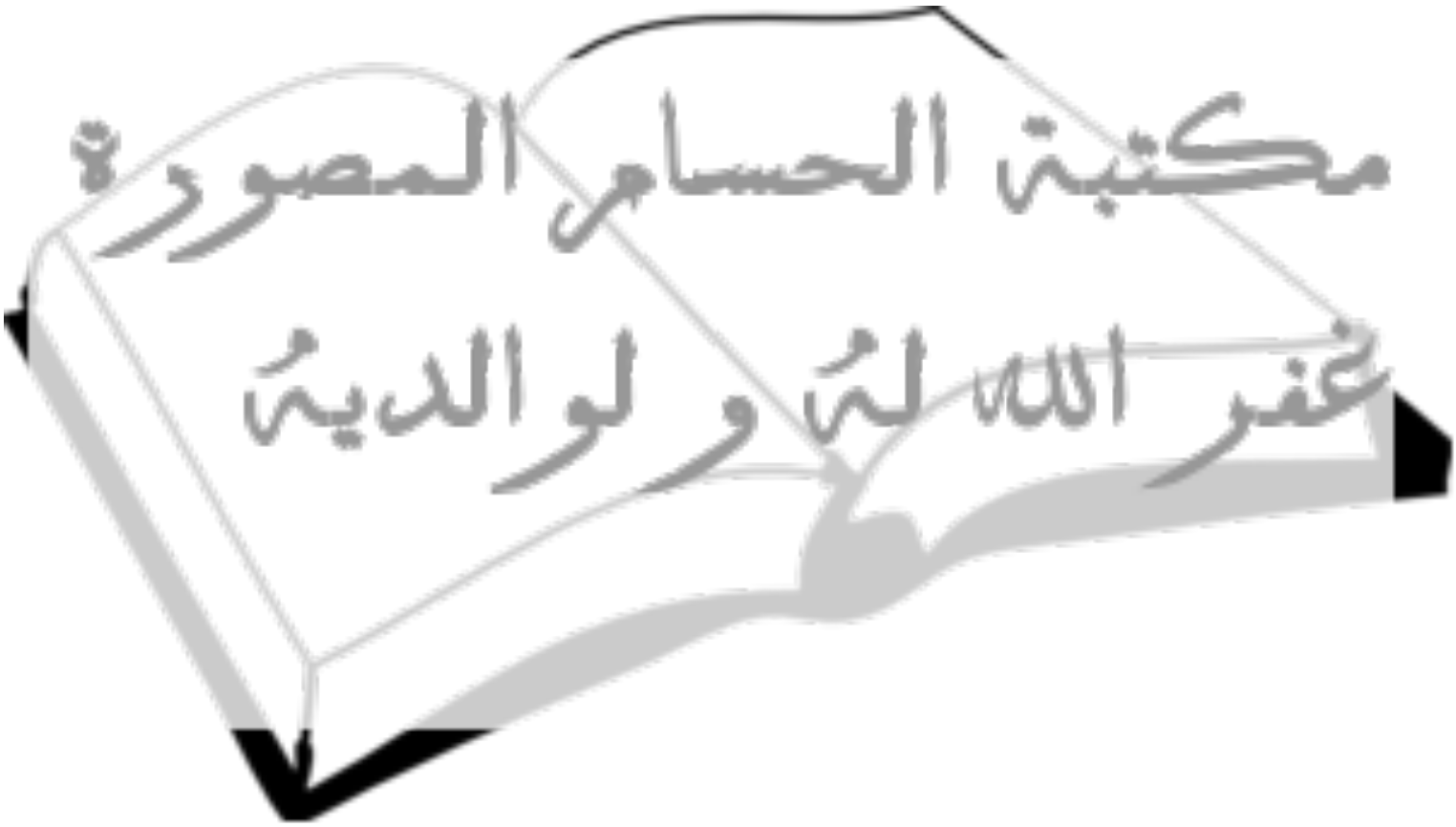
مكتبة الحسام المصورة
غفر الله لهُ و لوالديهُ